مجلة الأمانة العلمية – مجلة علمية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 307 / 2025
ISSN:3106-1176 https://ssj.org.ly

دور الزوايا الصوفية في إفشال محاولات التنصير ونشر الثقافة الاوروبية في ليبيا 1835-1915م

*** د. السنوسي يونس علي، ** د. عاشور ونيس سليمان، *** د. سليمان أحمد حسين**

(* استاذ مشارك، قسم التاريخ، شعبة الحديث والمعاصر، كلية الآداب، جامعة طبرق. ** استاذ مشارك، قسم التاريخ، شعبة الحديث والمعاصر، كلية الآداب، جامعة طبرق. *** استاذ مساعد، قسم التاريخ، شعبة الحديث والمعاصر، كلية الآداب، جامعة طبرق)

alsnosyyounsali@gmail.com

الملخص:

لقد كان الهدف الاستعماري الاوروبي هو انتزاع المجتمع الليبي من محيطه العربي والإسلامي، والذي ينتمي إليه حضارياً وثقافيا ودينياً وتاريخياً وجغرافياً، وإلقائه في عالم غريب لا يمت إليه بصلة دينية ولا لغوية ولا ثقافية ولا تاريخية، ولهذا الهدف سخر كل شيء حتى العلوم المساعدة لإثبات هويات مفترضة للتكتلات البشرية المتواجدة فوق هذا التراب، بهدف التفتيت والاستقطاب والتأثير في حياة الناس، والسيطرة على مقدراتهم وتوجيهها لمصلحته. وأمام كل تلك التجاذبات الناتجة عن تدخل القوى الاجنبية، وإهمال من قبل الدولة العثمانية التي ورثت البلاد بأحوالها السائدة دون محاولة جادة للتغيير أو الأخذ بأسباب التقدم والنهضة، برز دور الزوايا الصوفية التي أصبحت بمثابة منارات علمية يقصدها طلاب العلم والرواد، فمنحتهم الاستقرار النفسي والفكري، وغرست في نفوسهم روح البحث، والتنقيب، ومنحتهم فرصة التعلم مجاناً وبكل فئاتهم العمرية. كما أن بث الشعور الديني لدى المواطنين من خلال هذه الزوايا الصوفية جعل من التعليم في ليبيا حركة شعبية، وأصبح المواطنون يشاركون في إقامة الزوايا، ويتشرفون بالانتساب إليها، ويتبرعون بما يلزم للصرف على عملية التعليم، بل والتنافس في إرسال أبنائهم؛ لاستكمال علومهم، وأخذها عن أكبر العلماء والمشايخ فكانت أولى ثمار هذه الحركة هي توسع انتشار الثقافة العربية الاسلامية إلى درجة أصبحت فيه هذه الزوايا الصوفية من أكبر المنافسين لحركات التبشير المسيحية الأوروبية في القارة الإفريقية، وعلى الرغم من كل المصاعب استمرت مساهمة الزوايا في المحافظة على الهوية العربية الاسلامية وتحصينها ضد سموم الغزو الفكري المصاحب للاستعمار البغيض الذي اجتاح البلاد مستهدفاً الاسلام والمسلمين.

الكلمات المفتاحية: التعليم، الثقافة، الزوايا، الصوفية، الهوية.

The Role of Sufi Zawiya in Thwarting Christianization Attempts and Spreading European Culture in Libya 1835-1915 AD

Dr. Al-Sanousi Younis Ali*, Associate Professor, Department of History, Division of Hadith and Contemporary Poetry, Faculty of Arts, University of Tobruk.

Email: alsnosyyounsali@gmail.com

Dr. Ashour Wannis Suleiman, Associate Professor, Department of History, Division of Hadith and Contemporary Poetry, Faculty of Arts, University of Tobruk.

Email: Ashwr wnys@gmail.com

Dr. Suleiman Ahmed Hussein, Assistant Professor, Department of History, Division of Modern and Contemporary Studies, Faculty of Arts, University of Tobruk.

Email: sa1972ly@gmail.com

Abstract.

The European colonial goal was to uproot Libyan society from its Arab and Islamic environment, to which it belonged culturally, religiously, historically, and geographically, and to cast it into a foreign world to which it had no religious, linguistic, cultural, or historical connection To this end, he has harnessed everything, even the auxiliary sciences, to establish the supposed identities of the human groups present on this land, with the aim of fragmenting, polarizing, and influencing people's lives, controlling their capabilities, and directing them to his advantage. In the face of all these tensions resulting from the interference of foreign powers and the neglect of the Ottoman Empire, which inherited the country with its prevailing conditions without making any serious attempt at change or adopting the causes of progress and renaissance, the role of the Sufi lodges emerged. They became beacons of knowledge sought by students and pioneers, granting them psychological and intellectual stability, instilling in their souls the spirit of research and exploration, and giving them the opportunity to learn for free, across all age groups. In addition, spreading religious feelings among citizens through these Sufi corners made education in Libya a popular movement, and citizens began to participate in establishing corners, and were honored to belong to them, and donated what was necessary to spend on the education process, and even competed in sending their children to complete their education, and take it from the greatest scholars and sheikhs The first fruits of this movement were the expansion of Arab-Islamic culture to the point where these Sufi lodges became the greatest competitors of European Christian missionary movements in Africa. Despite all the difficulties, the lodges continued to contribute to preserving Arab-Islamic identity and protecting it from the poisons of the intellectual invasion accompanying the hateful colonialism that swept across the country, targeting Islam and Muslims.

Keywords: Education, Culture, Zawiya, Sufism, Identity.

- المقدمة:

إن هذا الموضوع الذي اخترناه لنتحدث فيه عن الزوايا الصوفية التي اسهمت من خلال دورها التعليمي والتربوي في الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية خلال الفترة الأليمة التي قاست فيها بلادنا ليبيا موجات عاتية من الظلم والتغريب، فقد لعبت الزوايا دوراً فعالاً في تحفيظ القرآن الكريم، ونشر العلم والثقافة الإسلامية، والمحافظة على اللغة العربية، والاعتزاز بها سيما وأن البلاد في العهد العثماني الثاني كانت تعاني من الإهمال على مختلف الأصعدة الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، حتى إذا ظهر الغزاة الطليان وهاجموا البلاد لاحتلالها ضلت على هذه الحالة تعاني من التخلف والفقر والجهل الذي خلفه إهمال الولاة العثمانيين.

وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يبرز دور الطرق الصوفية الفعال في نشر المعرفة، وتوعية الأهالي، حيث كان لها فضل كبير على السكان في تعزيز انتمائهم العربي والإسلامي فرفضوا كل محاولات انتزاع مجتمعهم من محيطه الذي ينتمون إليه حضارياً، وثقافيا، ودينياً وتاريخياً، وأيضاً جغرافياً، ورفضوا هذا المنطق بكل ما أوتوا من قوة ودفعوا من أجل ذلك دماءً زكية فداء لهوية الاسلام والعروبة.

وسنستخدم في إعداد هذه الدراسة المنهج السردي والتحليلي وذلك للوصول إلى الحقيقة التاريخية وبشكل موضوعي، وسنقسم هذا البحث إلى ثلاثة محاور رئيسية وهي كالاتي:

أولاً: محاولات نشر المسيحية في ليبيا.

ثانياً: موقف حكومة الولاية من محاولات نشر المسيحية والثقافة الاوروبية.

ثالثاً: دور الزوايا الصوفية في الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية.

رابعاً: الأثر الديني والثقافي للزوايا الصوفية في ليبيا.

فالهدف من دراسة هذا الموضوع بالدرجة الأولى هي إظهار مدى انحياز الليبيين بكل تركيباتهم وأعراقهم الاجتماعية لهذه الهوية التي هي حصيلة تفاعل قائم منذ عشرات بل ألاف السنين، وما نجم عنها من تلاحم وتمازج في الدين، واللغة، والعادات، والتقاليد، والأرض، والدم، والتاريخ، والأعراف، والأفكار والآمال، والتصورات، بحيث صار من المستحيل فك لحمة هذا الوطن أو تشتيته تحت أي شعار أو مسمى، ومن أجل هذا كله جاهد الليبيين وماتوا لأكثر من ربع قرن، ومن أجل هؤلاء جميعاً وأهدافهم التي ماتوا من أجلها اخترنا أن نقدم هذا العمل المتواضع لعله يكون اسهاماً مقبولاً منا في معركة الدفاع عن الهوية العربية والإسلامية الحقيقية لليبيا.

أولاً: محاولات نشر المسيحية في ليبيا.

منذ أن بدأت الاطماع الاوروبية تتجه صوب منطقة شمال أفريقيا خلال العهد العثماني الثاني ازدادت قوة تأثير القناصل الاجانب وتدخلهم في شؤون الولاية (ليبيا) كما ازدادت أعداد الارساليات التنصيرية، وأفواج من الرحالة والمستكشفين للترويج لدين المسيحي[i]، فقد وصل منهم إلى بنغازي عام 1838م الراهب (سلفترور داينبولا) لممارسة عمله التبشيري انطلاقاً من مبنى القنصلية الفرنسية القديم الذي استأجرت بمبلغ ثلاثين تاليريا[ii].

كذلك قام هنريك دوفيريه برحلة إلى غدامس سنة 1860م، ومرزق وزويلة[iii] وجمع معلومات حول الزوايا السنوسية التي كانت معروفة لديهم بشدة التعصب الديني، ودقة جهازها التنظيمي، وكفائة قادتها وقوة عقيدتهم[iv].

كما مر الرحالة دفيريه ايضاً بمنطقة نالوت، وجبل نفوسة، وجنوب طرابلس بعد أن تلقى الدعم والحماية من القنصل الفرنسي ب- ابوتا (P. Epotta) والدعاية من خلال رحلته للمسيحية في هذه المناطق[v].

ووصل منهم ايضاً الرحالة ريتشاردسن إلى مرزق مروجا للمسيحية بين السكان وكان يخبرهم بأنهم لو صاروا مسيحيين لازدهرت أحوالهم بالزراعة والصناعة، وأنه بالذكاء الاوروبي المسيحي ستتحول صحرائهم إلى جنة وكان ريتشاردسن منصراً أطلق على نفسه لقب (مرابط) عند تحدثه مع سكان الصحراء، وخاصة عند توزيعه للدواء مجاناً على المرضى[vi].

وبالإضافة إلى أعمال الرحالة والقناصل في ولاية طرابلس الغرب لم تخفي ايطاليا ايضاً اطماعها ومخططاتها الاستعمارية للسيطرة عليها، متذرعةً بقضية الرقيق المنافية للأخلاق فاقترحت أن تعمل على اعتاق الارقاء الزنوج ولا سيما صغار السن منهم وإطعامهم، وتلقينهم اللغة الايطالية، وإيوائهم في احدى المؤسسات التابعة للأب المبشر (جيرولمو Gerolmo) في برقة، وذلك لإيجاد قاعدة من العبيد المحررين تسهل عليها عملية الغزو، غير أن هذا المقترح رفض من قبل الحكومة العثمانية، ومن حاكم بنغازي فهي لا تريد أن ترى هؤلاء الارقاء يتحولون على أيدي القناصل، والمبشرين إلى المسيحية لا سيما وأنهم ليس بإمكانهم الاختيار بين المسيحية والإسلام، وعلى هذا المنوال استمر قناصل الدول الاوروبية ونوابهم في طرابلس وبرقة في استغلال امتيازاتهم منتهزين فرصة ضعف الدولة العثمانية وإدارتها منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وطيلة القرن التاسع عشر الميلادي[vii].

وقد ازداد نشاط القنصلية الايطالية في ولاية طرابلس الغرب أثناء تعيين (ريجيني) وكيلاً قنصلياً لإيطاليا في مصراتة، التاجر الايطالي الذي قدم تصوراً لتوطيد مركز ايطاليا في طرابلس بتطوير المعاهد الدراسية كوسيلة للتبشير بالمسيحية، وإنشاء مدارس في كل من طرابلس، وبنغازي، والخمس، ومصراتة، ومسلاتة، وسرت، ودرنة، وطبرق، وتوكرة، وكلف (فرانسيكو جوسب) أحد الساسة الايطاليين بالتمهيد السياسي الإيطالي، وذلك بمنح الاغراءات للأعيان والمشايخ مقابل التأييد لإيطاليا، واستمر القناصل الايطاليون في بنغازي يحاولون الاتصال بالمشايخ، والعناصر الوطنية لإقناعهم بأن ولاية طرابلس ستتقدم مثل تونس ومصر إذا ما قبل الليبيون بالسيادة الايطالية عليها، غير أن اتصالاتهم لم تعطي نتائج إلا للبعض، الذين كان لهم ارتباط سابق بإيطاليا وحتى عام 1902م كان لإيطاليا العدد الأكبر من المدارس المعدة لتعليم ابناء الجالية الايطالية، ومن يرغب بالتعلم من السكان المحليين[viii].

وقد أكد الرحالة مارك فورند (Morg Fourned) الذي زار طرابلس عام 1885م على فتح القساوسة الفرنشيسكان مدرسة للبنين ضمت جميع الديانات، تهدف إلى تعليم القراءة والكتابة باللغة الايطالية، ونشر الحضارة الاوروبية بين السكان وكان من بين الطلبة أبناء الضباط الاتراك[ix].

كما عملت ايطاليا على الانفاق المباشر على بعثاتها التنصيرية في طرابلس برعاية القناصل، وكذلك الجمعيات الخيرية مثل جمعية (الشفقة) التي انتظم فيها بعض الايطاليين برئاسة الايطالية (أميلله) زوجة القنصل الايطالي بطرابلس لتوفير الملابس للطلبة الفقراء من الليبيين، وكان التعاون بين الاجناس الاوروبية المختلفة حاضراً وقوياً في خدمة الاهداف التنصيرية، فضلاً عن تعاون اليهود المحليين مع هذه العناصر[x].

وفي عام 1904م نصح (ميدانا Medana) القنصل العام الايطالي في طرابلس حكومته بأن التغلغل الاقتصادي هو الوسيلة الوحيدة لفرض السيادة الايطالية على الولاية، وذلك من خلال إنشاء مكاتب البريد، والمدارس والخدمات الصحية في بنغازي، وطرابلس، على غرار مصرف روما الذي صار مركزاً للنفوذ الايطالي في الولاية بدعم من المصرف المركزي الايطالي، والفاتيكان وفتحت له فروع في كل من بنغازي ودرنة[xi].

وبعد عام 1904م أصبح هناك تحالف واسع بين المصالح الليبرالية والمصالح الدينية في أوروبا وعلى اثر ذلك التحالف زاد تشجيع الصحافة الكاثوليكية على غزو الاقاليم الليبية ولاقى الحماس الكاثوليكي

لاحتلال ايطاليا لطرابلس الغرب انتشاراً واسع النطاق، ولا سيما عندما أعلن القساوسة الحرب على المنابر، ورأت صحيفة الحضارة الكاثوليكية أن اعتناق الهوية الدينية يمكن الايطاليين الكاثوليك من تنصير السكان المسلمين في شمال افريقيا، لذلك طلب رئيس البعثة الفرانشيسكانية بعد سفره إلى روما أخذ التصاريح لبناء محطة ارسالية تبشيرية في كل من طبرق، ومصراتة، وزليتن لخدمة السكان والانتفاع المرتقب للمستوطنين، فوصلت من مصر إلى درنة بعثة الراهبات الفرنشيسكانيات، واتخذت مبنى شيد بأموال الحكومة الايطالية سكناً لها، وافتتحت عيادة ومدرسة لتنفيذ المهمة المطلوبة، كما اتخذت جماعة الرهبان اليعاقبة في بنغازي مبنى البعثة الفرنشيسكانية بمنطقة الفويهات مقراً لها[xii].

وهكذا تعددت محاولات التنصير ونشر الثقافة الاوروبية بين سكان ولاية طرابلس الغرب (ليبيا) من خلال الادوار التي لعبتها مؤسساتها المتواجدة في الولاية، كدور مدارس الفرنشيسكان في نشر التعليم الأجنبي، ودور مستشفيات الراهبات من خلال تقديم المساعدات الطبية المجانية للسكان، وكذلك القنصليات الاوروبية ومساعداتها المتعددة للرحالة والمبشرين[xiii].

ثانياً: موقف حكومة الولاية من محاولات نشر المسيحية والثقافة الاوروبية.

أما عن موقف الدولة العثمانية ورد فعلها اتجاه هذه السياسة الاوروبية نجدها قد اتخذت عدة تحوطات كان من بينها نشر التعليم الحديث الذي لم يعرف طريقه إلى ولاية طرابلس الغرب ولا إلى كثير من الولايات العثمانية إلا في أواخر القرن التاسع عشر فقد انشأت مدارس ابتدائية، وإعدادية، ورشدية، ولكنها كانت بجهود شعبية وخيرية من تبرعات الاهالي الراغبين في تعليم أبنائهم، وقد تضمنت البرامج التعليمية خلال هذه المراحل تعليم اللغة العربية، واللغة التركية، والدين الإسلامي، والتاريخ العثماني، والجغرافيا، والرياضيات، واقتصر وجود هذه المدارس فقط على مدينتي طرابلس وبنغازي[xiv].

فعلى سبيل المثال حاول أحمد راسم الاهتمام بالتعليم الحديث منذ عام 1858م لمواجهة التغلغل الاجنبي بما توفر له من امكانيات محدودة تطوير مرافق التعليم لمواجهة المدارس الاجنبية الايطالية والفرنسية التي تسعى إلى اجتذاب العناصر المحلية[xv]، إلا أن هذه المحاولات لم تأتي بنتائج ايجابية في مجال التعليم بسبب الاهمال والفوضى في إدارة الولاية، وعدم الاهتمام بأمور التعليم وهو ما يؤكده فرانشسكو كورو الذي قال: "ظلت الولاية خالية من المدارس العامة، والتعليم النظامي حتى عام 1895م، ولم تكن ثمت مدارس أو معاهد نظامية، والنوع الوحيد من التعليم الذي يقدم للأطفال هو القراءة والكتابة وفقاً للطريقة التقليدية العتيقة، حيث كان التعليم كله حول القرآن"[xvi].

وهذا ما نبه له ايضاً محمود ناجي بك عام 1911م مبعوث طرابلس في مجلس المبعوثين العثماني عن اتساع التعليم التنصيري الايطالي في الولاية والذي صار له 12 مدرسة، وأن التلاميذ صاروا أكثر ميلاً للتعليم الايطالي، كما عبر عن أسفه لتراخي نظارة المعارف، وعدم اهتمامها بمدارس الولاية العثمانية، والتعليم فيها حتى انصرف العديد من الطلاب إلى المدارس التنصيرية[xvii].

أما في مرحلة الاحتلال الايطالي لليبيا يلاحظ أنه صدر مرسوم ملكي رقم 56 لسنة 1914م القاضي بإنشاء مدارس عربية ايطالية اقتصر عمل المعلم العربي بها على تدريس اللغة العربية والدين أما بقية المواد الأخرى فقد أسندت للمدرس الايطالي، وهنا أحس الكثير من الليبيين بخطورة أهداف ونوايا المستعمر من خلال امكانية تأثير المعلمين الايطاليين المنفذين للمناهج الدراسية على مستقبل ابنائهم ولهذا بدأ الإحجام وعدم الرغبة من قبل الليبيين في إلحاق أبنائهم في هذه المدارس، وزاد تمسكهم وحرصهم على تعليم ابنائهم داخل الكتاتيب، وزوايا الطرق الصوفية[xviii] المنتشرة في كل المدن والمناطق والواحات الليبية، وأمام هذا الاعراض اضطرت السلطات الايطالية للاعتراف بالكتاتيب والزوايا الصوفية كمدارس رسمية، ولكن تحت

اشراف السلطات الإيطالية، ولا يمنح الكتاب أية مساعدة مالية إلا إذا كان عدد التلاميذ أكثر من عشرين تلميذاً.

ثم تعمق هذا الشعور عند الليبيين والإحساس بعدم الرضا حينما صدر مرسوم ملكي أخر رقم 250 بتاريخ 1915م نظم التعليم في المدارس الوطنية، وقد حدد هذا المرسوم سن التلاميذ من 5 سنوات إلى 14 سنة، وعدد التلاميذ بخمس وعشرين، كما حدد مجالات الدراسة في مبادئ اللغة العربية، ومبادئ الرياضيات، ومبادئ التربية الدينية فقط، واقتصر دور المعلم العربي على تدريس اللغة العربية والدين فقط، وتركت جميع المواد الدراسية الاخرى للمعلم الايطالي وهكذا دخلت ليبيا في مرحلة التعليم الاجباري والمسخ الحضاري، وفرضت على الناس اللغة الايطالية عوضاً عن اللغة العربية والحضارة الاسلامية[xix].

ثالثا: دور الزوايا الصوفية في الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية.

لقد كان الهدف الاستعماري هو انتزاع المجتمع الليبي من محيطه العربي والإسلامي، والذي ينتمي إليه حضارياً وثقافيا ودينياً وتاريخياً وجغرافياً، وإلقائه في عالم غريب لا يمت إليه بصلة دينية ولا لغوية ولا ثقافية ولا تاريخية، ولهذا الهدف سخر كل شيء حتى العلوم المساعدة لإثبات هويات مفترضة للتكتلات البشرية المتواجدة فوق هذا التراب، بهدف التفتيت والاستقطاب والتأثير في حياة الناس، والسيطرة على مقدراتهم وتوجيهها لمصلحته[xx].

وأمام كل تلك التجاذبات الناتجة عن تدخل القوى الاجنبية، وإهمال من قبل ولاة الدولة العثمانية برز دور الزوايا[xxi] الصوفية التي أصبحت بمثابة منارات علمية يقصدها طلاب العلم والرواد، فقد منحت الزوايا طلبة العلم الاستقرار النفسي والفكري، وغرست في نفوسهم روح البحث، والتنقيب، كما حببت إليهم الإنتاج والتأليف العلمي، ومنحتهم فرصة التعلم بدون أي مقابل بل أن الكثير منها وفرت لهم الغذاء والكساء والمأوى، وكل ما تتطلبه عملية التعليم من أدوات، وبالطبع لم يكن ليشترط في قبول الطلبة للدراسة سناً معينة أو محددة، فحق التعليم مكفول للجميع بكل فئاتهم العمرية.

كما أن بث الشعور الديني لدى المواطنين من خلال هذه الزوايا الصوفية[xxii] جعل من التعليم في ليبيا حركة شعبية، وأصبح المواطنون يشاركون في إقامة الزوايا، ويتشرفون بالانتساب إليها، ويتبرعون بما يلزم للصرف على عملية التعليم، والإصلاح فيها؛ بل والتنافس في إرسال أبنائهم؛ لاستكمال علومهم، وأخذها عن أكبر العلماء والمشايخ[xxiii].

إن الغاية الأولى للطرق الصوفية من إقامة نظام التعليم في الزوايا تتطابق مع نفس الغايات التي رمت إليها التربية الإسلامية في أغلب عصورها[xxiv]، إذ كانت الغايات الأولى هي فهم كتاب الله وحديث رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، والعمل بما جاء فيهما، ولهذا كان من الطبيعي أن يرتكز البرنامج التعليمي في هذه الزوايا حول القرآن الكريم، وقراءته، وتفسيره، ونسخه، وما يتطلبه ذلك من معرفة، ودراية بعلوم اللغة، والفقه، والتوحيد، والأصول، زد إلى ذلك العلوم النقلية والعقلية التي حوتها البرامج التعليمية في بعض العصور الإسلامية كالفلسفة والتاريخ والرياضيات والفلك[xxv]، ويمنح الطلبة الخريجين إجازات علمية على ما توصلوا إليه في العلم من كبار العلماء والمشائخ وأشهرهم، كما في الزاوية السنوسية بالجغبوب، وزاوية الشيخ عبد السلام الاسمر في زليتن[xxvi]، وزاوية المحجوب[xxvii] بمدينة مصراته[xxviii] وتكون الإجازة العلمية (الشهادة) التي كان يمنحها المشايخ، والمعلمون لطلبتهم بمثابة شهادة تخرج، وهي دليل على أن حاملها قد بلغ مستوى علمياً مقبولاً، يؤهله للقيام بالتدريس في الكتاتيب، وفي المساجد، والزوايا[xxix]، ومن جانب آخر كانت تعطيهم حق الرواية عن أساتذتهم الذين درسوا عليهم، كما تفيدهم في تولي مناصب القضاء، والإفتاء أو أئمتاً ووعاظاً في مناطقهم[xxx].

فعلى سبيل المثال تضمنت المناهج التعليمية في زاوية الجغبوب جملة من فروع العلوم، والمعارف حددها الامام محمد بن علي السنوسي منها القران الكريم (علم القراءات – التجويد – التفسير – التوحيد)، وعلوم الشريعة (الفقه الإسلامي – أصول الفقه)، وعلوم الحديث، ومصطلحه، واللغة العربية (علم النحو – والصرف – والآداب العربية)، وعلوم البلاغة والعروض، وعلم الفلك، والرياضيات، والتاريخ وغيرها من العلوم التي تساعد الطالب على فهم كتاب الله، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فهماً صحيحاً، كما جعل ابن السنوسي لتلاميذه مراتب في السلوك يتدربون ويتربون عليها كان أولها: تصحيح العقيدة بميزان أهل السنة والجماعة، حيث يتعلم المريد ما يحتاج إليه من المسائل الفقهية المتعلقة بظاهر البدن على مذهب من المذاهب الأربعة، وأن يتوجه المريد إلى تزكية النفس، وتهذيب الأخلاق، وتصفية القلب وتنقية السر... ألخ[xxxi].

ومن خلال تتبعنا لتاريخ الطرق الصوفية في ليبيا نلاحظ أن التعليم الديني في بعض الزوايا الصوفية كزاوية الجغبوب، والزاوية الاسمرية[xxxii] في زليتن، وزاوية الحضيري في فزان على سبيل المثال لا الحصر قد وصل إلى مستوى عالٍ بحيث كان خلال تلك المرحلة يضاهي التعليم في المراكز العلمية المتطورة المعروفة في ذلك الوقت كالجامع الأزهر في مصر، وجامع الزيتونة في تونس، والقرويين في فاس بالمغرب، حيث استطاعت هذه الزوايا أن تمد كل الأماكن التي انتشرت فيها في ذلك الوقت بكل ما تحتاج إليه من الرجال المتعلمين للقيام بالمسائل الشرعية، وإرشاد الناس، وتفقيههم في دينهم[xxxiii]، حيث كان الغرض الحقيقي من تأسيسها هو تخريج المدرسين الأكفاء؛ لتولى مهام التعليم في زوايا الطرق الصوفية المنشأة والتي ستنشأ، وكذلك رؤساء لهذه الزوايا ونواب لهم[xxxiv].

وبهذه الطريقة نجد أن هؤلاء الطلاب بعد عودتهم إلى أهلهم في القرى، والنجوع قد أسهموا بشكل كبير في نشر وتعزيز الثقافة العربية والإسلامية، كما أن بعضهم ساهم في نشر الدين الاسلامي في البلدان التي لا تزال تدين بالوثنية [(xxxv)]، فمن إحدى الوسائل التي اعتمدتها الطريقة السنوسية مثلاً لنشر الاسلام في إفريقيا، هي شراء الأرقاء من هؤلاء، وهم في سن صغيرة وتربيتهم في الجغبوب، وتعليمهم وتنشئتهم نشأة دينية إسلامية صحيحة[xxxvi]، وبعد إكمالهم تحصيل العلم هناك يعتقون، ويسرحون لينشروا الإسلام في بلدانهم التي كانت لا تزال تدين بالوثنية، وهكذا يتخرج في كل سنة الكثير من الدعاة الذين يدعون إلى الإسلام في كل أنحاء إفريقيا بين القبائل الوثنية، وكذلك تصحيحه عند من كانوا لا يعرفون عن جوهره شيئاً ويعتنقون الإسلام اسمياً فقط، كما يعملون على تشجيعهم للالتحاق بالزوايا لتلقي العلم، وحفظ القرآن الكريم، والتفقه في دينهم.

كما أنه مع زيادة الوعي الديني بين القبائل بفضل انتشار الزوايا زاد معه الشعور بالأمان، والطمأنينة وبوادر العمران على طول الطرق التجارية عبر الصحراء وزاد نشاط القوافل، وإقدام المسافرين والتجار على قطع الفيافي الصحراوية، وصار من الميسور على دعاة الطرق الصوفية أن يرافقوا تلك القوافل، وهؤلاء المسافرين والتجار في رحلاتهم وأسفارهم يدعون إلى الإسلام، ويؤسسون الزوايا التي فتحت أبوابها للعرب، والزنوج على حد سواء؛ لتعليمهم اللغة العربية، وقواعد الدين الصحيحة[xxxvii].

ولم يقتصر دور الزوايا على التدريس فقط، وإنما امتد إلى دور اجتماعي تمثل في كونها مجلسا لحل الخصومات، والمنازعات، وإجراء المصالحات بين الناس نظرا لما يحظى به علمائها من احترام وتقدير في وسطهم الاجتماعي، ومحلاً لمناسباتهم الدينية والاجتماعية المختلفة، ومكان لإيواء الضيوف الغرباء، وعابري السبيل[xxxviii].

وبما أن زوايا الطرق الصوفية جميعها كانت مراكز للتعليم، ولنشر الثقافة العربية والدعوة الإسلامية لاسيما بين الأقوام الوثنية في أواسط أفريقيا، فقد كانت أولى ثمار هذه الزوايا توسع انتشار الإسلام في أفريقيا إلى درجة أصبحت فيه هذه الطرق الصوفية كالسنوسية والقادرية من أكبر المنافسين لحركات التبشير المسيحية الأوروبية في القارة الإفريقية [xxxix].

وقد استمر الحماس في إنشاء الزوايا الصوفية كمدارس للتعليم الديني في ليبيا طيلة العهد العثماني الثاني، أما خلال مرحلة المحنة التي مرت بها ليبيا وهي فترة الاحتلال الايطالي والتي نجمت عنها أضرار جسيمة لا يتسع المجال لذكرها ومن بينها العبث بالزوايا وإتلاف محتوياتها من الكتب وغير ذلك من الامور التي كانت سبباً في هجرة أعداد كبيرة من الليبيين وبالتالي عجز تلك الزوايا عن مواصلة اشعاعها بالشكل الأمثل وانحصر نشاطها على الاكتفاء بتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم مبادئ العلوم الدينية، وعلى الرغم من كل تلك المصاعب استمرت مساهمة الزوايا مشكورة في المحافظة على الهوية العربية الاسلامية وتحصينها ضد سموم الغزو الفكري المصاحب للاستعمار البغيض الذي اجتاح البلاد مستهدفاً الاسلام والمسلمين[xl].

رابعاً: الأثر الثقافي والديني للزوايا الصوفية في ليبيا.

وقد بدا من الواضح أن الحركة التعليمية في الكتاتيب والزوايا وإقبال الناس على هذا النوع من التعليم كان له آثاره الجيدة، خاصة بالنسبة للحفاظ على أنماط القيم العربية والإسلامية واستمراريتها، والتمسك بها رغم العوائق والمحن التي عاشها شعبنا في ليبيا خاصة أيام الحقبة الزمنية التي مارس أثناءها الحكم الايطالي سلطته على هذا الشعب[xli]، ففي ظل تلك الظروف التي مرت بها ليبيا طيلة العقود الماضية ظلت زوايا الطرق الصوفية هي الأساس المتين والعمود الفقري، والمورد الذي لا ينضب، وهي الروافد الحقيقية التي لا ينقص مددها ولا ينقطع عطاؤها على مدى مرور السنين والأحقاب فهي التي مدت خلال العقود الماضية المجتمع الليبي بالخامات التي تساعده على الديمومة والبقاء والاستمرار رافعة راية القرآن الكريم إلى عنان السماء محافظة على ازدهاره ونشره بين الاجيال، وعلى هذا الاساس بقت الزوايا شامخة عملاقة حارسة كتاب الله، محافظة على حفظه في الصدور، وعلى رسمه، وضبطه، وروايته، وتقف بالمرصاد أمام كل من يسول له عقله العبث به وتفسيره بما يلائم نفسه الخبيثة الأمارة بالسوء[xlii].

لقد اسهمت الزوايا الصوفية في ليبيا من خلال مسيرتها الطويلة الظافرة بدور ايجابي في مجال تخريج أفواج متلاحقة من حفظة القرآن الكريم الملمين بمبادئ العلوم الدينية واللغوية، إضافة إلى الاعداد المتواصلة من الفقهاء والعلماء الاجلاء الذين تولى بعضهم القضاء والإفتاء، كما شارك كثير منهم في تحفيظ القرآن الكريم وممارسة التعليم، والوعظ والإرشاد وإمامة المساجد، وتدوين المصاحف والكتب وغيرها من العقود والوثائق، وعندما عزم الطليان على احتلال ليبيا كانوا أول من لبى نداء الجهاد[xliii].

ونذكر هنا عينة من خريجي الزوايا الصوفيه وليس للحصر ممن ساهموا بدور بارز ومهم في نشر التعليم والمحافظة على الثقافة العربية والإسلامية في ليبيا منهم:

1. الشيخ محمد عمر ناصر، ولد في غدامس عام 1887م وتربى بها توفي والده وعاش يتيماً وهو في سن العاشرة من عمره، تعلم القرآن الكريم وحفظه في الزاوية القادرية فقد تتلمذ على يد شيخه ومربيه الشيخ أحمد بن محمد بن هيبت.

   اشتغل بتدريس القرآن الكريم وتحفيظه لمدة تزيد عن الـ40 سنة في عديد زوايا وكتاتيب المدينة منها: زاوية اندلعلاد، والزاوية المدنية بجرسان، وزاوية مولاي الطيب بمنطقة مازيغ، وكذلك زاوية عمر المختار، وكان من عاداته وعادة عدة شيوخ ومربي غدامس أن يقوموا بتحفيظ متن ابن عاشر في الفقه، وكذلك متن الأجرومية في النحو والصرف، ومتن الرحبية في الميراث، كما حفظ على يديه القرآن الكريم الكثيرين من طلبة العلم الذين ساهموا بدور فعال في عدة مجالات في غدامس وغيرها منهم الاستاذ والمربي أحمد شليد، وبشير أحمد الثني، والفقيه محمد بشير فياض، والفقيه محمد التاجوري، والبخاري هارون، وعبد الله بوشي، وبشير يبي، ومحمد محمد علي الثني وغيرهم.

   كان مداوماً على قراءة الحزب بعد صلاتي الفجر والعصر في جامع سيدي ابراهيم مع العديد من الشيوخ والفقهاء، كما كان يقرأ صحيح البخاري عن ظهر غيب الذي يبدأ أهل غدامس

بقراءته في أول يوم من شهر رجب من كل عام حتى 27 من رمضان بعد أن تحصل على إجازة في قراءته من الشيخ الهاشم ضوي ومن الشيخ علي سيالة الطرابلسي، كما يشارك باستمرار في إحياء المناسبات الدينية التي تقام بغدامس فكان من المهتمين بقراءة المدائح النبوية في المساجد وذلك قبل وبعد ذكرى مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بشهر، وللشيخ دور هام في فض وحل بعض النزاعات والمشاكل الاجتماعية لما يحض به من تقدير واحترام ورجاحة عقل ورأي، ولما يتصف به من الشدة والضبط والحزم.[xliv]

2. **السيد عمر الفضيل**[(xlv)]، الذي خدم بكل إخلاص في نشر التعليم بعد تخرجه من زاوية الجغبوب في برقة البيضاء ومنطقة سرت[(xlvi)] ونواحيها، ثم عند قبائل المغاربة والزوية (منطقة أجدابيا)، فحفظ القرآن الكريم على يده عدد كبير من أبنائهم، كما ساهم بعد ذلك في بناء زاوية الكفرة، وخدم فيها مدة طويلة في تعليم كتاب الله، وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، إلى أن توفى رحمه الله سنة 1896م[(xlvii)].
3. الشيخ محمد الأزهري[xlviii]، وكان عالماً جليلاً عابداً زاهداً كلف بالتعليم في زاوية طبقه جنوب غرب ليبيا، وكان على كبر سنه لا يترك مطالعة الدروس ومع ذلك يحترف نسخ الكتب وله نظر حاد، وظل متمسكا بتأدية واجبه في ايصال رسالة العلم والتعليم حتى لقي وجه الله سنة 1904م[xlix].
4. الشيخ والمجاهد عبد النبي بلخير بن المبروك بن مصباح بن فتح الله بن عطية بن سالم بن أحمد بن حمودة بن عبد الله النجار ابن عبد المؤمن عبد اللطيف بن محمد بن خليفة بن محمد الكوفي بن الولي الصالح الشريف محمد أبي صاع دفين القيروان، ولد عام 1880م ببني وليد، أتم حفظه للقرآن الكريم على يد الشيخ السامح بن ميلاد، ثم أكمل تعليمه في زاوية الفطيسي بزليتن وأخذ عن أشهر علمائها وفي مقدمتهم الشيخ امحمد بن مختار بن عبد القادر الفطيسي، ومن أبرز الطلاب الذين درسوا معه مصطفى الجزائري حفيد الأمير عبد القادر.

ثم صار من مريدي الطريقة المدنية وبعد أن نهل منها العلوم الشرعية، وأصول اللغة العربية انتقل إلى معهد الرشدية بطرابلس فدرس بعض اللغات وعلم التاريخ والجغرافيا والحساب، وغير ذلك من العلوم والمعارف انتقل لاستكمال دراسته في اسطنبول وقد تخصص في مجال المحاسبة، وبعد رجوعه عين مديراً للشؤون المالية وتحصيل الضرائب بمتصرفية لواء يفرن، وتولى بعد ذلك منصب قائم مقام في منطقة بني وليد.

وبمجيء الاحتلال الايطالي لليبيا لبنى نداء الجهاد وخاض غمار المعارك ضد المستعمر الايطالي منها معركة المرقب بالخمس، ومعركة الهاني، وعين زارة، وقرقارش، ومعركة قصر أحمد في مصراته، ومعركة شميخ، ومعركة وادي دينار في بني وليد، ثم واصل جهاده في فزان وحكمها من عام 1920 إلى عام 1929م ومع تزايد تدفق القوات الايطالية في جنوب ليبيا وإصرارها على ملاحقة المجاهدين اضطر عبد النبي بلخير ورفاقه من المجاهدين إلى اجتياز الحدود الجزائرية وتوفي عطشاً في صحراء الجزائر بمنطقة التارقي سنة 1932م تغمده الله وسائر المجاهدين بواسع رحمته ورضوانه[l].

5. الشيخ ابوالقاسم العيساوى الذي عين بعد تخرجه إماما يصلى بأهل الجغبوب، وفي عهد السيد المهدى أرسل إلى زاوية طرابلس الغرب؛ لتعليم أبناء المسلمين كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وهداية العباد، وإرشادهم إلى ان توجه إلى الحجاز فحج ورجع وأقام بالزاويه المذكورة إلى ان لقي وجه الله[li].
6. العالم والأديب والشاعر اللغوي أحمد بن شتوان، الذي هاجر بعد تخرجه من زاوية الجغبوب وحصوله على إجازة ابن السنوسي إلى مصر ومنها إلى إسطنبول، نشرت له الصحف والجرائد في تركيا العديد من القصائد الشعرية، وتقلد العديد من المناصب منها مدرساً بجامع السلطان محمد الفاتح، وكان يدرس للطلاب علوم الحديث، والفقه الإسلامي، كما كانت له حصص في الوعظ

والإرشاد لعامة الناس، وكان عفيف النفس عفة أهل العلم يحضر دروسه كثير من كبار الشخصيات في تركيا، توفي حوال عام 1882م ودفن في جامع محمد الفاتح[lii].

7. الشيخ محمد بن عثمان بن رجب غيزوان السوكني، حفظ القرآن الكريم، وتلقى بعض الدروس الفقهية في الزاوية السنوسية في مسقط رأسه سوكنة، ثم ارتحل، للإستزادة من الدراسة في الجغبوب، وكان من المتفوقين بين زملائه في علوم اللغة العربية، والفقه التي تلقاها على أيدي مشايخ أجلاء، وبعد تخرجه، وتحصله على إجازة علمائها رجع إلى بلدته، وتولى التدريس بالكتاتيب المجاورة للجامع العتيق في واحة سوكنة إلى أن قتل على أيدي الإيطاليين عام 1917م[liii].
8. الشيخ علي بن محمد بن رمضان حبرة، الذي درس في الجغبوب وتخرج من معهدها الديني، وبعد تخرجه مارس التعليم، وتحفيظ القرآن الكريم في واحة سوكنة[liv]، وفي نجوع القذاذفة بضواحي سرت، توفي إلى عفو الله سنة 1932م[lv].
9. الشيخ الفاضل عبد الله مصطفى عبد الله حديد ولد سنة 1901م وحفظ القرآن الكريم على يد شيخه محمد اسويسي بن ضيف الله، والشيخ المهدي أبو عبد الله، اشتهر بالزهد والصلاح عمل محفظاً للقرآن الكريم في زاوية المحجوب وحفظ على يديه خلق كثير يزيد عددهم على المائة وخمسون طالباً، وكان يقوم بمهام خطبة الجمعة، وإمامة الاوقات بمسجد هذه الزاوية، توفي رحمه الله تعالى سنة 1984م بالأراضي المقدسة ودفن بمقبرة المعلاة بمكة المكرمة[lvi].
10. الآمين عبد الله النعمي، باشر تعلمه للقرآن الكريم في الكتاب الذي يمارس فيه والده عبد الله محمد النعمي تعليم القرآن بجامع النعمي الذي أسس سنة 1835م بقبيلة المنصورة، وفي كتاب جامع الهجارسة أكمل حفظه لكتاب الله، بدأ ممارسته لمهنة تعليم القرآن الكريم في نفس الجامع الذي تعلم فيه باعتباره أضحى مؤهلاً لهذا الدور.

تمكن من مواصلة تعليمه مع أدائه لوظيفته على عدد من العلماء المشهورين في منطقة سوق الجمعة منهم الشيخ عمر التومي، والشيخ علي يحيى بدر، والشيخ عبد المولى السالك، والشيخ علي النجار وغيرهم، وكانت مجالات تلك العلوم متنوعة كعلوم الفقه، والنحو، والفرائض، وعلم القراءات، وعلم التصوف، تخرج على يديه مجموعة كبيرة من حفظة القرآن الكريم أسهموا في مجالات مختلفة في التعليم العام، والقضاء، والوعظ والإرشاد، وعندما سأل عن عدد من تعلم على يده من طلبة العلم أجابهم بأن ذلك السؤال يفسد روح الاخلاص والعمل من أجل مرضاة الله.

والشيخ أوقف حياته في مجال تعليم القرآن الكريم حيث ظل يمارس هذه المهنة الشريفة أكثر من خمس وستين سنة تقريباً، التزم بالإشراف على العديد من الاسر الفاقدة لعائلها، وظل متفقداً لسلوك ابنائها وتعليمهم حتى بلوغ سن الرشد، وكان له دور اجتماعي بارز في حل النزاعات والخلافات بين بعض الاسر والأفراد، من أشهر مقولاته (لم أر أوعظ من قبر، ولا آنس من كتاب، ولا أسلم من الوحدة)[lvii].

- الخاتمة:

ومن خلال ما أوردناه في هذا البحث توصلنا إلى النتائج الآتية وهي:

أولاً: تعددت محاولات التنصير الاوروبي في ولاية طرابلس الغرب بالإضافة إلى التدخل في شؤونها بشكل كامل من خلال مراكزه المتعددة والتي تمثلت في مدارس الفرنشيسكان ودورها التنصيري ونشر الثقافة الاوروبية بين السكان، والمساعدات الطبية المجانية بمستشفيات الراهبات المتعددة والموجودة في ولاية طرابلس الغرب، ودور القنصليات الاوروبية ومساعداتها المتعددة للرحالة والمبشرين وتسهيل أعمالهم ودخولهم إلى الولاية والمساهمة في ضعفها، والتغلغل الاقتصادي فيها.

ثانياً: أن الكثير من الطلاب الخريجين من الزوايا الصوفية، عادة ما كانوا يعملون مدرسين، أو أئمةً، أو وعاظاً، أو قضاةً في مناطقهم، ومن هنا كان يبرز دور الزاويا الصوفية في نشر التعليم الديني، والثقافة العربية والإسلامية في ليبيا، حيث يعود هؤلاء الطلاب إلى أهلهم في القرى والنجوع للقيام بواجب التعليم، والإصلاح، والإرشاد، وأحياناً يقصدون زاوية أخرى تابعة لنفس الطريقة في منطقة أخرى ليتولوا التعليم فيها، أو أن بعض هؤلاء الخريجين كانوا يؤسسون زوايا في مناطق أخرى لا توجد بها زوايا.

ثالثاً: قامت الزوايا الصوفية بجهود جبارة في مواجهة حملات نشر المسيحية والثقافة الاوروبية من خلال نشر التعليم الديني على نطاق واسع حيث كانت هي الأداة الفعالة في نشر الثقافة العربية والإسلامية في ربوع ليبيا في الوقت الذي عجزت فيه عن القيام بجزء من تلك المجهودات الدولة العثمانية صاحبة السيادة.

وبهذا الجهد لا يمكن لأحد أن ينكر فضل الزوايا الصوفية وجميل صنعها بما قدمته للوطن والأمة من خدمات جليلة وأعمال عظيمة في حماية الهوية العربية والإسلامية، ومعالجة القضايا الاجتماعية، وهي في زمانها تشبه اليوم مؤسسات التربية والتعليم الاساسي والمتوسط والعالي إلا أنها لم تكن تتلقى أي دعم من أية جهة اعتبارية أو رسمية.

الهوامش:

i . اساعد محمد عبد الرازق الدروقي، برقة بين السيطرة العثمانية والإطماع الأجنبية 1835م- 1911م، دار المعارف الجامعية، مصر، 2013م، ص 153، 154.

ii . تاليريا: عملة فضية سكت عام 1741م سميت باسم الملكة ماريا تيريزا التي حكمت النمسا وبوهيميا وهنقاريا 1740 – 1780م، وتعرف ايضاً باسم الريال النمساوي <https://ar.wikipedia.orgywiki

iii . اتيليو موري، الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا في مطلع القرن التاسع عشر وحتى الاحتلال الايطالي، ت: خليفة التليسي، طرابلس، ط1، دار الفرجاني، 1971م، ص 66- 68.

iv. أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي 1882-1911م، المطبعة الفنية الحديث، القاهرة، 1971م، ص79.

v . اتيليو موري، المرجع السابق، ص 66- 68.

vi. جيمس ريتشاردسن، ترحال في الصحراء، ت- الهادي بولقمة، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1993م، ص394.

vii. اساعد محمد عبد الرازق الدروقي، المرجع السابق، ص 156-158.

viii. محمد الكوني بالحاج، التعليم في مدينة طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني 1835-1911م وأثره على مجتمع الولاية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2000م، ص111.

ix. خليفة التليسي، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والاجانب، ط3، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1997م، ص179.

x. محمد الكوني بالحاج، المرجع السابق، ص111.

xi. وليم س. اسكيو، أوروبا والغزو الايطالي لليبيا 1911-1912م، ت – ميلاد المقرحي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988م، ص40.

xii. محمد مصطفى بازامة، تاريخ برقة في العهد العثماني الثاني، دار الحوار، قبرص، 1994م، ص426، 438.

xiii. نعيمة سعيد حمد محمد، موقف ولاية طرابلس الغرب من محاولات التنصير الاوروبي 1835 – 1912م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر غير منشورة، كلية الاداب، جامعة عمر المختار، البيضاء، 2022م، ص 65.

xiv. رأفت غنيمي الشيخ، تطور التعليم الديني في ليبيا في العصور الحديثة، ط1، دار التنمية للنشر والتوزيع، 1972م، ص132، 133.

[xv]. وثيقة رقم 76، رسالة من الولاية إلى متصرفية الخمس، بتاريخ 29 رجب 1311هـ، الموافق 6 فبراير 1894م، نقلاً عن وثائق تاريخ ليبيا الحديثة "الوثائق العثمانية 1881/1911م"، جمع وترجمة: عبد السلام أدهم، ترتيب ومراجعة وتقديم، أحمد صدقي الدجاني، منشورات جامعة بنغازي، 1974م، ص122.

[xvi]. فراشسكو كورو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، ت – خليفة محمد التليسي، دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1971م، ص117.

[xvii]. محمد الكوني بالحاج، المرجع السابق، ص22.

[xviii]. وفق الرؤية الصوفية - التصوف: ليس فرقة أو مذهباً بل هو أحد أركان الدين الثلاثة (الإسلام- الإيمان- الإحسان) فمثلما اهتم الفقه بتعاليم شريعة الإسلام، وعلم العقيدة بالإيمان، فإن التصوف اهتم بتحقيق مقام الاحسان، مقام التربية والسلوك، أي مقام تربية النفس والقلب وتطهيرهما من الرذائل وتحليتهما بالفضائل، والذي هو الركن الثالث من أركان الدين الإسلامي الكامل بعد ركني الإسلام والايمان. للمزيد انظر: عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، ط11، دار العرفان، حلب، سوريا، 2001م.

[xix]. رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص188 – 194.

[xx]. المرجع السابق، ص191-193.

[xxi]. الأصل في (الزوايا) أنها ناحية في المسجد أو ركن من أركانه يجلس عندها أحد العلماء للتعليم وإلقاء الدروس، وكان يطلق على هذا المكان اسم" الزاوية "فيقولون هذه زاوية الشيخ فلان، حيث أصبح لكل عالم زاوية يداوم على الحضور فيها، وعندما انتشر التعليم خارج المسجد وأصبح في أماكن وأبنية مستقلة انسحب هذا الاسم على تلك الاماكن التي غالباً ما تضم عدداً من الغرف لإقامة وسكن طلاب العلم.

[xxii]. في ليبيا وجد التصوف في نفس الفترة التي وجد فيها في مهده الأول في الجزيرة العربية والعراق، وأول رصد للتصوف على مستوى ليبيا كان مع بواكير الدولة العباسية متمثلاً في شخصية الشيخ عبد الله الشعاب المتوفى سنة 243ه أي أن التصوف وجد في ليبيا قبل مصر والمغرب العربي. أنظر أحمد بك النائب الانصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس – ليبيا، 1961م، ص67.

[xxiii]. رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص10.

[xxiv]. عبر قرون عديدة كانت الزوايا الصوفية والكتاتيب مصدر إشعاع علمي وثقافي امتدت رقعته في مساحات واسعة من عالمنا الإسلامي، ولم تكن بلادنا ليبيا استثناء فقد احتضنت العديد من هذه الزوايا والكتاتيب التي كان لها الأثر الطيب والمحمود في المجتمع، وكانت منارات هداية أسهمت في خلق مناخ متميز امتد إشعاعه الروحي إلى مناطق شاسعة من خلال تحفيظ القرآن الكريم، وتدريس علوم اللغة العربية.

[xxv]. علي الحوات، التعليم العالي في ليبيا نشأته وتطوره وإنجازاته، مجلة الجامعي، العدد الأول، النقابة العامة لأعضاء هيئة التدريس الجامعي، طرابلس، 1993م، ص22.

[xxvi]. رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص10.

[xxvii]. تأسست زاوية المحجوب سنة 742ه الموافق 1331م مؤسسها هو الولي الصالح والصوفي العالم الفاضل ابراهيم بن محمد بن اسماعيل المحجوب الذي ينتهي نسبه إلى الجد الحادي والثلاثين إلى سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله علي وسلم.

[xxviii]. محمد مصباح المغربي، وأخرون، زاوية المحجوب بمصراتة تاريخ وأصالة، الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم، أعمال الندوة العلمية الرابعة 1999/1/6م، تحرير. الفرجاني سالم الشريف، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، سلسلة التاريخ الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي للمجتمع الليبي رقم (8)، طرابلس – ليبيا، 2008م، ص 130، 131.

[xxix]. علي بن نجيب الزهراني، الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة، ط2، دار آل عمار، الشارقة، 1998م، ص59.

[xxx]. بالحاج، محمد الكوني، المرجع السابق، ص58. انظر أيضاً: علي مصطفى المصراتي، الصلات بين ليبيا وتركيا التاريخية والاجتماعية، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، طرابلس، ليبيا، 1968م، ص104.

[xxxi]. السنوسي يونس علي، واحة الجغبوب ودورها في التعليم الديني في ليبيا 1855م- 1926م، سلسلة الدراسات التاريخية (160)، المركز الليبي للمحفوظات التاريخية، طرابلس، ليبيا، 2024م، ص216.

[xxxii]. الزاوية الأسمرية: نسبة إلى الشيخ العالم والمربي الصفوي الكبير عبد السلام الاسمر الذي أسسها عام 920ه وبها دفن بعد وفاته.

[xxxiii]. منذ سيطرت الأتراك العثمانيين على ليبيا وعلى غيرها من أقطار العالم العربي خلال القرن السادس عشر الميلادي أصبح التعليم الذي كان قائماً بصفة أساسية في المساجد والكتاتيب والزوايا هو التعليم الوحيد المتاح لأبناء هذه البلاد، فلم ينل التعليم العناية الكافية من قبل الدولة العثمانية شأنه شأن بقية نواحي الحياة الأخرى للمواطنين، فقد ورثت الدولة العثمانية البلاد بأحوالها السائدة دون محاولة جادة من قبل الولاة، أو الدولة نفسها للتغيير، أو الأخذ بأسباب التقدم والنهضة، وضلت فرص التعليم الحديثة حتى نهاية العهد العثماني محدودة جداً. للمزيد انظر: محمد بشير سويسي، أوضاع التعليم في ليبيا، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، السنة السادسة والعشرون، منشورات مركز جهاد الليبيين لدراسات التاريخية، طرابلس، 1999م، ص64، 65.

[xxxiv]. وثيقة رقم (21) قائمة بأسماء كتب مسلمة إلى فرج خليفة والخاصة بأحمد الشريف السنوسي، 29 ربيع الأول 1320هـ/18مارس 1912م، ملف أحمد الشريف رقم (44) شعبة الوثائق والمخطوطات، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.

[xxxv]. عبد الحفيظ السنوسي محمد الغزالي السوكني، (كتاتيب بلدة سوكنة وزاويتها ومشاركة بعض أعلامها في تحفيظ القرآن الكريم ونشر التعليم الديني في عدد من المناطق)، الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم، ص73.

[xxxvi]. كان من بين الذين أرسلتهم الطريقة السنوسية للقيام بهذه المهمة الشيخ (محمد السني)، الذي وفق في دعوته ونجح في هداية الكثير من الأفارقة الوثنيين. للمزيد انظر: أحمد الشريف السنوسي، السيد ابن السنوسي من المهد إلى اللحد، ج2، مخطوط، ص34.

[xxxvii]. تمكن الامام محمد بن علي السنوسي قبل وفاته من جعل الجغبوب مركزاً لنشر الإسلام بين الزنوج الوثنيين في إفريقيا وبالتحديد في مناطق جنوب الصحراء، والبداية كانت من واداي والأقاليم المجاورة لها، التي قبل سلطانها محمد شريف أن يدخل الطريقة السنوسية في سلطنته، حيث أن هذا الأخير كان على صلة وثيقة بالشيخ ابن السنوسي منذ أن كان مقيماً في مكة المكرمة وبعد اعتلائه عرش واداي عام 1238هـ سمح للسنوسيين ببناء زواياهم ونشر دعوتهم الإصلاحية هناك، ثم ما لبث هو نفسه أن أصبح من كبار مؤيدي الحركة السنوسية ومريديها حتى وافته المنية عام 1258هـ. انظر: محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، ط1، مركز الدراسات الليبية، أكسفورد، بريطانيا، 2005م، ص70، 71.

[xxxviii]. ابراهيم أحمد المختار الحضيري، زاوية الحضيري (دورها وتأثيرها العلمي والاجتماعي في فزان من الربع الاخير من القرن التاسع الهجري حتى وقتنا الحاضر)، مجلة أصول الدين، المجلد السابع، العدد الأول، يونيو 2023م، ص80-83.

[xxxix]. محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص101 – 103.

[xl]. عبد الحفيظ السنوسي محمد الغزالي السوكني، المرجع السابق، ص63، 64.

[xli]. رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص189 – 194.

[xlii]. عادل عبد العاطي محمد الشبلي، وعبد الله بن يوسف، الزوايا السنوسية وأثرها في الحياة العلمية والاجتماعية في ليبيا 1841- 1942م، مجلة الدراسات الاسلامية والفكر للبحوث التخصصية، المجلد 3، العدد 2، ابريل 2017م، ص42.

[xliii]. محمد الكوني بالحاج، المرجع السابق، ص58. انظر أيضاً: علي مصطفى المصراتي، المرجع السابق، ص104.

[xliv]. نور الدين مصطفى الثني، (نماذج من كتاتيب وأعلام تحفيظ القرآن الكريم بمدينة غدامس) الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم، ص 116 - 118.

[xlv]. عمر الفضيل: مشهور أيضاً باسم الأوجلي نسبة إلى مكان ميلاده وهو واحة أوجله جنوب مدينة أجدابية بـ 230 كيلومتر تقريباً.

[xlvi]. سرت: وتقع غرب مدينة أجدابية بحوالي 400 كيلو متر، وشرق مدينة مصراته بحوالي 250 كيلو متر، وهي المنطقة الممتدة بين رأس البرج غرباً وبلدة الزويتينة في الشرق. انظر: عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، ط2، مركز الإسكندرية للكتب، الإسكندرية، 1996م، ص94.

[xlvii]. أحمد الشريف السنوسي، أعلام الطريقة السنوسية، ج2، مخطوط، ص7، 8.

[xlviii]. عائلة الأزهري: تقيم حالياً في طرابلس وأصلها ينحدر من منطقة فزان جنوب ليبيا: أحمد الشريف السنوسي، أعلام الطريقة السنوسية، ج2، مخطوط، ص8.

[xlix]. أحمد الشريف السنوسي، أعلام الطريقة السنوسية، ج2، مخطوط، ص10، 11.

[l]. فرج ونيس الساعدي الصيد، (نماذج من زوايا وكتاتيب مدينة طرابلس القديمة وما جاورها ومدينة بني وليد)، الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم، ص269 -271.

[li]. المرجع السابق، ص21، 22.

[lii]. علي مصطفى المصراتي، المرجع السابق، ص104-108.
[liii]. المختار عثمان العفيف السوري، (المؤسسات التعليمية الدينية في سوكنة خلال العهد العثماني الثاني) الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم، ص363.
[liv]. سوكنة: تقع جنوب غرب ليبيا وتبعد عن مدية سرت في اتجاه الجنوب بحوالي 500 كيلومتر. انظر: الهادي أبو لقمة، وفتحي الهرام، 1985م، الأطلس التعليمي، شركة اسلتي ماب سيرفس، ستكهولم، السويد، ص40.
[lv]. ورفللة: هي من أكبر القبائل الليبية في المنطقة الغربية والمقيمة في مدينة بني وليد، تبعد عن مدينة طرابلس بحوالي 300 كيلو متر في اتجاه الجنوب الشرقي. انظر: خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911-1931م، الدار العربية للكتاب، (د.م) 1980م، ص68.
[lvi]. محمد مصباح المغربي، وأخرون، المرجع السابق، ص137.
[lvii]. عبد الله الآمين النعمي، (نبذة عن حياة الشيخ المربي الآمين عبد الله النعمي) الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم، ص 119- 128.